

الفصل الثاني

دور مصر وثورة يوليو في أفريقيا



مما لا شك فيه أنه قد تعاضم الدور المصري الإقليمي في قارة أفريقيا مع ثورة يوليو (تموز) عام ١٩٥٢ م، واتخذ هذا الدور أبعادًا جديدة متميزة وأفاقًا رحبة لم يبلغها من قبل رغم الاعتقاد السياسي والتسليم بقدم الدور المصري في القارة «السوداء»، والذي يترافق زمنيًا مع قدم الدولة المصرية باعتبارها أقدم دولة في التاريخ المكتوب^(١).

- فقد استلمت الحكم في مصر - بعد ثورة يوليو - نخبة جديدة في ظل النظام الجمهوري تختلف بطبيعة الحال عن أسرة محمد علي وحاشيتها، والتي



كان ينظر لها غالبًا على أنها غريبة عن مصر وأفريقيا إما لأنها ألبانية الأصل، أو لأنها ترتبط بالأتراك والشركس والإنجليز فيما بعد.. فالنخبة الحاكمة المتمثلة أساسًا في أعضاء مجلس قيادة الثورة هي

(١). د. محمود أبو العينين : الدور الإقليمي المصري في أفريقيا منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ بين الاستمرارية والتغير - مجلة السياسة الدولية - مؤسسة الأهرام ، السنة الثامنة والثلاثون يوليو ٢٠٠٢ ، العدد ١٤٩ ، ص ٣٢.

نخبة وطنية تشعر ويشعر الشعب المصري معها بالانتماء الوطني ، هذا من ناحية أولى، - كما يذكر د. محمود أبو العينين في دراسته عن الدول الإقليمية المصري في أفريقيا - ومن ناحية ثانية ، كان هناك ثمة ارتباط قوي وملحوظ بين العناصر البارزة في مجلس قيادة الثورة وبين السودان ، ومن ثم أفريقيا فيما بعد ، ومن هذه العناصر محمد نجيب المولود بساقية أبي معلا بالخرطوم (١٩٠٠ - ١٩٨٤م) ، وجمال عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠م) ، وصلاح سالم (١٩٢٠ - ١٩٦٢م) وأنور السادات (١٩١٨ - ١٩٨١م) ، فعلى عكس الملك فاروق (١٩٢٠ - ١٩٦٥) مثلاً الذي لم يزر السودان ، ولد محمد نجيب بالخرطوم من أم سودانية ، وكان والده ضابطاً بالجيش المصري بالسودان أيضاً ، وظل لعشر سنوات سكرتيراً للحاكم العسكري السوداني ، ومن ثم كان لمحمد نجيب (١٩٠٠ - ١٩٨٤) شعبية ونفوذ لدى السودانيين على اختلاف أحزابهم ، كما خدم جمال عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠م) لنحو ثلاث سنوات في السودان إثر تخرجه من الكلية الحربية ، أما صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة والمسؤول عن وزارة شؤون السودان ، فقد ولد في شرق السودان عام ١٩٢٠ وكان والده موظفاً في الحكومة السودانية ، وأمضى طفولته في هذا البلد ، ومن ناحية ثالثة ، كانت «النخبة الجديدة» تحمل في عروقها الدماء الأفريقية ، ولون البشرة السمراء ، والتي تعبر عن الامتداد الطبيعي والبشري بشكل واضح بين مصر وبقية أجزاء القارة الأفريقية^(١) .. وينضاف إلى هذه النخبة الرئيس الراحل محمد أنور

(١) د. محمود أبو العينين: الدور الإقليمي المصري في أفريقيا منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ بين الاستمرارية والتغير ، مجلة

السياسة الدولية فصلية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، العدد ١٤٩ يوليو ٢٠٠٢ ، ص ٣٤.

السادات (١٩١٨ - ١٩٨١) (١).

- وقد كان اهتمام مصر بأفريقيا قد انحصر منذ الدولة الحديثة أو عهد محمد علي باشا (حكم من ١٨٠٥ حتى ١٨٤٨) في سياق الفتح والتوسع في القرن التاسع عشر الميلادي ، التي اتسمت بها السياسات الدولية أو الإقليمية عموماً ، واكتسبت الفتوحات المصرية في هذه المناطق ، والتي تركزت على السودان وحوض النيل وسواحل البحر الأحمر .. فقد اكتسبت (هذه المناطق) أهمية خاصة في ضوء المشروع ، التي اكتسبتها هذه الفتوحات في تلك المناطق خلافاً للمناطق العربية أو الشرق أوسطية عموماً .

- فلم تكن مصر - قبل اندلاع ثورة يوليو ١٩٥٢ - تمتلك أي منظور شامل للقارة الأفريقية كقارة متكاملة على الرغم من وجود بعض الإشارات وبعض الأفكار لدى بعض المفكرين المثقفين في أفريقيا باعتبارها وحدة جغرافية .. لقد انحصرت صورة أفريقيا في المنظور المصري على وحدة وادي النيل ، وعلى الأكثر بعض من أجزاء حوض النيل والقرن الأفريقي (مصر السودان وأوغندا وأثيوبيا وأريتريا والصومال) بحكم الاهتمام التاريخي بهذه المناطق ، ولكونها في

(١) يذكر محمد حسين هيكل في كتابه "خريف الغضب" ، قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات ((الصادر من مركز الأهرام للترجمة والنشر عام ١٩٨٨ عن أصول السادات بقوله في الصفحة ٣٥ قائلاً: ((كانت العروس التي اختارها ((جدة السادات)) هذه المرة فتاة تدعى : ((ست البرين)) ، كانت ابنة رجل اسمه : ((خير الله)) ، وكان لسوء حظه من الذين وقعوا في أسر العبودية ، وساقه أحد تجار العبيد من قرب أوسط أفريقيا إلى حيث باعه في أحد أسواق العبيد في ذلك الوقت بدلنا النيل .. وعندما ألغى نظام العبودية في مصر بعد اشتداد الحملة في العالم كله على هذه الظاهرة اللاإنسانية فإن سادة ((خير الله)) اعتقوه من أسر العبودية . كانت ابنته ((ست البرين)) مثله تماماً ، ورثت عنه كل تقاطيعه الزنجية ، ومن سوء الحظ أيضاً ، وذلك من التعقيدات الدفينة في أعماق وجدان ((أنور السادات)) أنه ورث عن أمه كل تقاطيعها ، وورث مع هذه التقاطيع مشاعر غاصت في أعماقه من بعيد... ولزيادة التفاصيل انظر المرجع السابق، ص ٣٥ وما بعدها.

حوض النيل أو البحر الأحمر^(١).

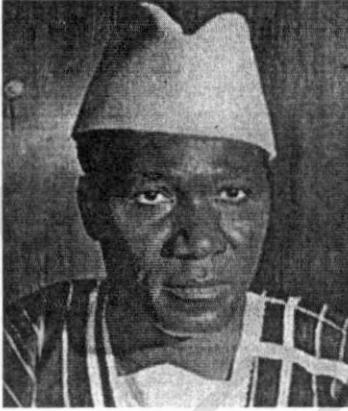
ومن ثمّ .. يتضح أن بعد الثورة Revolution وفي الفترة الناصرية اختلف الخطاب الناصري عما قبله ، فيقول الباحث حلمي شعراوي في كتابه «أفريقيا من قرن إلى قرن» مؤكداً ذلك: «وفي المرحلة الناصرية عاد خطاب التوحيد والآفاق الخارجية مع النهضة والتحديث يصنع أفكار الدوائر الثلاث (فلسفة الثورة) والأربع (ميثاق العمل الوطني) ، وتضمن ذلك خطابات عربية وأفريقية وعالمية ، وقد تبنت مصر نتيجة لذلك أيديولوجية التحرر الوطني والوحدة العربية والثورة الأفريقية، وفي إطارها عقدت المؤتمرات الشعبية الجامعة ، وقامت تكتلات جنوب بلغة عدم الانحياز عناصر الخطاب هنا إذن تعبئة الداخل وتنمية من ناحية وتكتيل الخارج بالقدر المتاح من ناحية أخرى^(٢).

- ومع بداية تزايد الدور المصري - بعد قيام ثورة يوليو - على الجانبين العربي والأفريقي لاح قدر ظاهري من التعارض والتباين بين الإنتمائين ، كما بدا ذلك بداية الوحدة المصرية السورية ، وتأسيس الجمهورية العربية المتحدة في فبراير (شباط) عام ١٩٥٨ م ، والتي جاءت في إطار رفض مصر أن تكون جزءاً من الشرق الأوسط The Middle East وأحلافه المرتبطة بالإستراتيجية الغربية ، فقد أخذ الأفارقة ينظرون لمصر وكأنها بلد عربي لا تنتمي لأفريقيا إلا موقعاً ، وعلى سبيل المثال ، حينما سافر وفد الجمهورية العربية المتحدة إلى أكرا (عاصمة غانا) عام ١٩٥٨ م لحضور مؤتمر الدول الأفريقية المستقلة ، قال

(١) د. محمود أبو العينين : مرجع سابق ذكره ، ص ٣٤.

(٢) حلمي شعراوي : أفريقيا من قرن إلى قرن ، مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠ ، ص ٨٦.

كوامي نكروما (ت ١٩٧٢)، لوزير الخارجية المصري - وقتئذ الدكتور محمود فوزي (١٩٠٠ - ١٩٨١ م): «أبلغ الرئيس عبد الناصر أن اسم مصر عزيز على



رئيس عبد الناصر

الأفارقة ، وأنه يرجو ألا يختفي هذا الاسم بعد أن اسم الجمهورية ... وأنه لا يتصور أفريقيا بدون مصر»، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل حاولت بعض الوفود الأفريقية في مؤتمر أديس أبابا ١٩٦٣ (نيجيريا وأثيوبيا)، أن تعترض على إدخال اللغة العربية ضمن لغات العمل الرسمية في منظمة الوحدة الأفريقية OAU ، وتصدى

لهم الرئيس الغيني الراحل سيكوتوري (١٩٢٢ - ١٩٨٤)، كما أثرت هذه القضية مرة أخرى في أحد الاجتماعات من قبل وفد السنغال Senegal ؛ حيث وجه حديثه للوفد المصري متسائلاً ومستنكراً عما إذا كانت مصر تنتمي حقيقة إلى أفريقيا ، أم انتهاؤها هو انتماء عربي^(١).

- لقد كانت هذه النقطة أحد النقاط الحساسة التي تمثل معضلة متأزمة أمام السياسة المصرية، وكان من الصعب تخطيها خاصة أن الاستعمار Colonialism كان يروج في ذلك الوقت للفصل بين الشمال العربي وأفريقيا جنوب الصحراء، كما كان يسعى بكل جهده للحيلولة دون دور مصر مؤثر في أفريقيا^(٢).

(1) د. محمود أبو العينين: الدور الإقليمي المصري في أفريقيا منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ بين الاستمرارية والتغير، السياسة الدولية، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، العدد ١٤٩ يوليو، ٢٠٠٢، ص ٣٧.

(2) د. محمود أبو العينين : مرجع سابق ذكره ، ص ٣٧.

- وعلى العموم - وكما يذكر أبو العينين - فقد عولجت هذه القضية (الشائكة) عبر عدة طرق منها : حرص القيادة المصرية (عبد لناصر) والنخب المثقفة في هذا الوقت على تأكيد أن الانتماء الأفريقي لمصر هو انتماء واقعي ، تحكمه عوامل الجغرافيا والبشر ، كما تحكمه العوامل الثقافية والدينية ، فضلاً عن العوامل السياسية ، كما قدم المصريون والحضارة الفرعونية (القديمة) باعتبارها حضارة أفريقية ، وأكدوا على أن سكان مصر ، وخاصة في الجنوب ، تجري فيهم الدماء الأفريقية ، وأكدت وثائق الثورة المختلفة سواء فلسفة الثورة أو الميثاق الوطني ، أو خطب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر (١٩١٨ - ١٩٧٠) ، وبيانات القيادات السياسية المختلفة أكدت بصفة مستمرة على أن الدائرة الأفريقية هي دائرة متميزة في سياسة مصر الخارجية ، وأنها تأتي بعد الدائرة العربية مباشرة ، تليها الدائرة الإسلامية ، ثم عدم الانحياز ، ثم الدائرة العالمية والأمم المتحدة UN ، كما أكدت مصر على لسان أكثر من متحدث رسمي عنها المؤتمرات الأفريقية (محمد فايق، مراد غالب وغيرهما) ، أكدت على أنه لا تناقض بين العروبة والأفريقية في الانتماء المصري ، وأن القومية العربية سواء كمشاعر أو كنظام مؤسسي مثل جامعة الدول العربية في مظهر أو جانب من جوانب القومية الأفريقية ، وأن العرب يمثلون قوة لأفريقيا ، وأن الأفريقيين هم قوة للعرب ، وأن التمييز أو الفصل بينهم بمثابة عمل استعماري بغض^(١)

- فقد كان التزام مصر بحق الشعوب الأفريقية في تقرير مصيرها ، والذي ظهر جلياً لا لبس فيه في قضية استقلال السودان بادرة طيبة ومتميزة في مجالات العلاقات الدولية، فقد عاجلت مصر (الثورة) هذا الموضوع علاجاً

(١) د. محمود أبو العينين: مرجع سابق ذكره ، ص ٣٧.

جذريًا فاصلة هذا الموضوع عن مسألة الجلاء البريطاني عن مصر ، ونجحت (مصر) في هذا إبان مفاوضاتها الشاقة مع الإنجليز ، ووصلت معهم إلى الحكم الذاتي Autonomy ، وتقرير مصير السودانين في ١٢ فبراير (شباط) ١٩٥٣ م ، وبهذا المفهوم بدأت مصر (الثورة) تهم في الدعوة إلى تقرير حق تقرير المصير للشعوب الأفريقية الأخرى ، وظل هذا المبدأ بارزًا في مواقف مصر في اجتماعات الأمم المتحدة UN والمؤتمرات الأفريقية^(١) .

- ويقول يواقيم رزق مرقص في دراسته عن «التوجه نحو أفريقيا» في هذا الصدد: «والغريب أن التحرك المصري الإيجابي ، الذي بدأ هكذا نحو أفريقيا ، ظهر في وقت لم تكن هناك في القاهرة كلها دولة واحدة تستطيع أن تسمي نفسها مستقلة بالفعل حتى مصر كانت مستقلة اسميًا ؛ حيث ما تزال القوات البريطانية تحتل أجزاء من أراضيها ، وكانت السيطرة الاستعمارية تشدد قبضتها على القارة الأفريقية^(٢) .

- فقد كانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م نقطة تحول مصر بدول العالم ولحظة فارقة في تاريخ العلاقات الدولية مع مصر لاسيما بعد أن أعلنت معالم سياستها الخارجية المنفتحة على الشؤون الدولية، فكانت قيادتها أكثر وعيًا واستيعابًا لخبرات الكفاح الوطني من التيارات الوطنية - على حد قول يواقيم مرقص - للثورتين اللتين سبقتاها في ١٨٨٢ - بزعامة أحمد عرابي (١٨٤١ - ١٩١١ م)

(١) د. يواقيم رزق مرقص: التوجه نحو أفريقيا ، في كتاب «أربعون عامًا على ثورة يوليو ، دراسة تاريخية» ، تحرير : رءوف عباس حامد ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، الأهرام ، يوليو ١٩٩٢ ، ص ٢٥٤ .

(٢) د. يواقيم رزق مرقص: مرجع سابق ذكره ، ص ٢٥٥ .

وثورة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول (١٨٥٩-١٩٢٧م)، فالتخطيط الثوري في كتاب فلسفة الثورة الذي كتبه جمال عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠)، في الشهور الأولى عام ١٩٥٣م يظهر منه أنها ليست ثورة انعزالية سلبية، وليس في نية قيادتها أن تحصر مصر داخل إطار المعاملة مع الدول الغربية وفق المنهج التقليدي الذي شارته عليه قيادات وطنية سابقة^(١).

- ويظهر من استقراء التاريخ ومتابعة الأحداث خلال سنوات الخمسينيات من القرن الماضي أن مصر قد شهدت - بالفعل - وبعد قيام الثورة Revolution تحولاً رئيسياً في علاقات مصر الشاملة بأفريقيا.

- فالجدير بالبيان في هذا الصدد أن هذه المرحلة (١٩٥٢-١٩٥٩م) قد شهدت بداية إنشاء عدد من الأجهزة المصرية المعنية بالشؤون الأفريقية من: - البرامج الموجهة إلى أفريقيا في الإذاعة.

- إدارة الشؤون الأفريقية في مصلحة الاستعلامات.

- مكتب رئيس الجمهورية للشؤون الأفريقية.

- بالإضافة إلى أنه قامت في مصر أجهزة أخرى معنية بالشؤون الأفريقية اتخذت القاهرة مقراً لها مثل: «السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الأفريقية والآسيوية»^(٢).

(١) د. يواقيم رزق مرقص: التوجه نحو أفريقيا، في كتاب (أربعون عاماً على ثورة يوليو، دراسة تاريخية)، تحرير: رءوف عباس حامد، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، يوليو ١٩٩٢، ص ٢٥٢.

(٢) د. يواقيم رزق مرقص: مرجع سابق ذكره، ص ٢٥٥.